IUGJHR
Vol 27, No4, 2019, pp 157-169

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-01-17)، تاريخ قبول النشر (2018-10-09)

رواية الخيال العلمي ... بين العلمية والأدبية
رواية " أعشقني " أنموذجا تحليليّاً

اسم الباحث الأول: حنان إبراهيم العمايرة *.1

اسم الجامعة والبلد (للأول)[1] جامعة البلقاء التطبيقية – كلية السلط للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية .

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: www.amayrahh@yahoo.com.

الملخّص:

هذا البحث يسعى لتوضيح مصطلحات المتعلقة برواية الخيال العلميّ، فالخيال، والحقيقة، والعلم، والأدب؛ مصطلحات تظهر في البحث ونسعى للربط بينها من خلال التوضيح لمفهوم " الخيال بين العلميّة والأدبيّة"، ومن ثمّ نعمد إلى التطبيق النصّي على رواية" أعشقني" للكاتبة "سناء الشعلان"، وفي هذه الرواية نكشف عن أثر الخيال العلمي في بناء الأحداث الروائية، إذ يظهر أثر التقدّم في التقنيات الإلكترونية في مجالات متعددة ، ونبيّن كيف ساهمت آلة الزمن في رسم تفاصيل هذه التقنيات الخيالية في مجرّة درب التبّانة ، ومن ثم نعمد من خلال التحليل إلى الكشف عن إيجابيات وسلبيات هذا التقدّم العلمي الخيالي، لينتهي البحث بالحديث عن الأبعاد الدلالية من توظيف الخيال العلمي في هذا النصّ الروائي.

كلمات مفتاحية: الخيال ، الحقيقة ، العلم ، الخيال العلمي، الأدب.

Science Fiction Novel, Between scientific and literary Novel "ashgueni - Love Me" analytical model

Abstract:
This research seeks to clarify the terms related to novel science fiction, imagination and the truth, science , erature , terms seek to connect them through a clarification of the concept of imagination between scientific d literary " and then the text on the novel "ashgueni – love me". Writer Sana al-Shalan" in this novel disclose e impact of science fiction in the construction of the events related to space technologies of electronic mmunication through a population and show how the time machine contributed to draw the details of this tional techniques in the milky way galaxy. Then baptize through analysis to detect the pros and cons of this aginary progress the search ends by talking about semantic dimensions of the employment in this sci-fi velist text .

Keywords: Imagination- truth- science- science fiction –Literature

الخيال ..... بين العلمية والأدبية :

الخيال موطن الإبداع والتصور والتفكير، فالخيال لغة :" خَيَلَ : خالَ الشيءَ يخالُ خيلاً ظنَّهُ؛ وفي المثلِ من يخلْ أي يظنن؛ وتخيّل َالشيءُ له أي تشَبّه، و تخيّل َ له أنّه كذا أي تشبّهَ وتخايل ، يقال تخيّلتُه فتخيّلَ لي ، كما تقول تصورته فتصوّر [1]"

ويكاد لا يخلو عملٌ أدبيٌ من الخيال؛ فهو المَلَكة التي تكشف عن " القدرة على تكوين صور ذهنيّة لأشياء غابت عن متناول الحسّ. وقد يوجد ما تكوّنه هذه القدرة من صور في مكان ما من عالم الواقع، أو قد ينتمي إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد يعلو على ذلك كلّه دون أن ينتمي لفترة زمنية محددة أو يرتبط بعالم واقعيّ محدد[2]" .

ولا شكّ أن الصورة الأدبية يستحضرها الأديب من مخزون ذاكرته ، أو لعلّه يحاكي هذه الصور من الحاضر الذي يعيشه، و قد يتجاوز الأمرين بمحاكاة صور ممكنة التحقيق في المستقبل.

والخيال يميّز النّص الأدبي عن سائر النصوص الأخرى:" فالأدب ليس صدقاً ولا تعبيراً عن الواقع؛ ولكنّه جموحٌ وطموح يتجاوز فيه الأديب عالم الحقيقة والواقع ويصل إلى عوالم من صنع مخيّلته أرحب وأوسع وقد تكون أكمل وأفضل[3]".

وهنا يأتي دور الأديب ليعبّر عن قضايا الواقع بأسلوبه الذّاتيّ، لا بالنقل الوصفيّ المباشر؛ وإنما بالصور الموحية التي لا تبعدنا عن الواقع ؛ أما الغاية من ذلك فهي التأثير بالمتلقّي واستثارة عواطفه بالاعتماد على اللغة المحركة للعاطفة؛ ولن تتحرك هذه العاطفة إلا بالخيال، فلولا الخيال"لكان من المستحيل في أغلب الأحيان أن تستثار العاطفة[4]".

فالخيال هو سبيل التأثير الذي يتوخّاه الأدب، إذ لو عرض الانفعال دون صورة لما ظهر ذلك الانفعال، ولبقي حبيس النفس، وهو يحوّل الأفكار والانفعالات عن مسارها الاعتياديّ؛ لأنه يهدف إلى" أن يبدع الأديب نمطا جديدا من الحياة ويتيح للذّات التطّلع إلى آفاق جديدة في محاولة لاكتساح الحصار اليومي والأشياء التي فقدت معناها لكثرة تداولها [5]" .

فالأدبية لن تتحقق دون خيال وصور وانفعالات ذهنية؛ ومن هنا نجد أن بعض الأنواع الأدبية ارتبط تعريفها بالخيال كالشّعر؛ فالشعر " عمل تخيّليّ يتمّ في رعاية العقل، أو تخيّلٌ عقليٌّ إذا صحَّ التعبير [6]" . أما العلم فعلاقة الخيال به اتخذت منحىً آخر؛ فالعلم أداة يتخذها الإنسان لفهم العالم الطبيعي وتفسير معطياته. وقد مكّنته هذه الأداة من الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي كانت موضع الجهل أو التي كانت بصيغة أكثر تحديداً موضعاً للتفسير الخرافي منذ أمدٍ بعيد، فالخيال هو الذي حفّز التفكير العلميّ لتفسير الظواهر التي تحيط بالإنسان بهدف التحكّم فيها وضبطها؛ ممّا يؤدي إلى إزالة القلق و التوتّر التي تنتج من الغموض [7]"وإذا كان الخيال في الأدب يتّسم بعدم الاستقرار أو الثبات، فهذا لأنه يرتبط بالذات الإنسانية التي يصعب بل يستحيل دراستها أو تنظيمها علميّا و تجاوز اختلافاتها. فالاختلاف والتميّز من سمات الإبداع الأدبي منذ القدم؛ لذا من الصعب إقامة مفهوم نظري محدد للخيال الأدبي.

أما العلم فهو "نقيض الجهل وإدراك الشيء بحقيقته [8]" والعالم يسعى إلى تفسير الظواهر الطبيعية بطريقة منظمة ومرتبة، فيقوم بإعادة تركيب عناصرها وفق النسب والعلاقات بين أجزائها؛ والخيال هو الذي يساعد على هذا التفسير ومن ثمّ يتنامى ليصل إلى الابتكار والإبداع؛ والعالم يسعى إلى ترتيب عناصر الظاهرة وفق طريقة تؤدي إلى إعطاء صورة أو نتيجة جديدة،

---

1) ابن منظورلسان العرب ،[مادة خيل] ، ص ص 191ــ 193.

2) انظر ، موريس بورا : " الخيال البدائي " ضمن كتاب جابر عصفور، الخيال ،الأسلوب ، الحداثة ، ص(9) .

3) ندا ، الأدب المقارن،ص (15) .

4) أمين، النقد الأدبي، ص(44).

5) التليلي،" الخيال و الإبداع"،ضمن كتاب عبد السلام ميس، الخيال ودوره في تقدّم المعرفة العلمية، ص(14).

6) انظر : عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ، ص(35) .

7) عيسوي، سيكولوجية الخرافة و التفكير العلمي مع دراسة حقلية مقارنة على الشخصية العربية، ص (27) .

8) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،، مادة (علم)، ص (624).

واكتشاف مركّبات جديدة[1]". والتنبؤ لم يعد خاصية مرتبطة بالعلماء وحدهم، وإنما هي من خصائص الأدباء ولاسيّما أدباء الخيال العلميّ الذين يستطيعون استقراء المنجزات العلمية، ولعلّ القصص الخرافية المملوءة بأجواء السّحر والجن الأب الشرعي لقصص الخيال العلمي [2]".

فالخيال قادر على استقراء المستقبل والغيبيات، وهو الذي يحدد الصدق الفني من خلال تأثر المتلقي وانفعالاته العاطفية تجاه النص الأدبي، أما الخيال العلمي فيسعى لتفسير الظواهر الطبيعية بطريقة منظمة ومرتبة ومقبولة عند المتلقي ليحثّه على التأويل والابتكار والاكتشاف.

أدب الخيال العلمي : دراسة اصطلاحية :

يعدّ الأدب ظاهرة إنسانية، و لايمكننا فصلها عن الظواهر الاجتماعية و العلمية ، والعلم أداة يتخذها الإنسان لفهم هذه الظواهر، والخيال مبعث التفكير الإنساني؛ هو مبعث الأدب والحقائق العلمية وجلّ النشاطات الفكرية الفنية و الفكرية، وهو أيضا مركز العلم وبؤرة انطلاقه. ولا يشترط في الأدب أن يكون نقلا عن الواقع فهو ليس حمّالة أفكار، أو انعكاسا ماديّا للواقع، ولا هو تجسيد لحقيقة ما متعالية [3]". ويبدو أن العلاقة بين الخيال العلمي و الخيال الأدبي علاقة تكاملية؛ فالخيال في الأدب يعبّر عن القضايا الإنسانية الكبرى، ويناقش المسائل الإنسانية الروحية في ظلّ التطوّر العلميّ الهائل الذي أصبح سمة هذا العصر الحديث؛ لذلك ازدادت أهمية الخيال العلمي لاستهدافه التعبير عن الحاجات الإنسانية الجديدة، التي لم يكن لها مثيل في العصور القديمة، وقد ذاعت شهرة الخيال العلمي تحديدا في العصر الحديث الذي استدعى ظهوره ، مثلما استدعت عصور سابقة فنونا أدبية أخرى، ومن ثم جاءت تسمية "أدب الخيال العلمي" بـــ"أدب القرن العشرين" ، وقد تعددت التعريفات لهذا الفن؛ ومنها ما جعله أدباً سينمائياً " أدب الخيال العلميّ جنس أدبي وسينمائي يترقّب تطوّر الإنسانية وخصوصا نتائج تقدّماتها العلمية [4]"

ومنهم من جعل أدب الخيال العلميّ " جنس روائيّ يقوم على وصف حقيقة آتية انطلاقا من معطيات علميّة حاضرة أو على تقديرات استقرائية انطلاقا منها[5]". وهناك تعريف أكثر عمومية فهو" جنس أدبيّ يحدث تغييرا علميا ممكنا في المتخيّل الروائيّ[6]".والتعريف الأكثر تفصيلا يرى أن أدب الخيال العلميّ هو الفرع من الأدب الذي يتعامل مع تأثير التغيير على الناس في عالم الواقع، ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل، والأماكن القاصية. وغالباً ما يشغل نفسه بالتعبير العلميّ أو التكنولوجيّ، وعادة ما يشمل أموراً ذات أهمية أعظم من الفرد أو المجتمع المحليّ، وفي أغلب الأحوال تكون فيه الحضارة أو الجنس نفسه معرّضا للخطر [7]".

فالأدب يوظف المفاهيم والمصطلحات و الأفكار العلمية ، والعلم يستغلّ الصور المتخيّلة التي تعدّ المنبع الأصيل للإبداع الأدبيّ، ومصدرا للابتكار العلميّ والارتقاء بأساليب الحياة البشرية وتحسينها، فيتحق الانصهار والتكامل بين الأدب والعلم ضمن أدب الخيال العلميّ ،هذا الأدب الذي يوصف بأنه أكثر أنواع الأدب قيمة، ولا يقلّ أهميّة عن غيره من الآداب المعتاد قراءتها خاصّة إذا كان أدب الخيال العلميّ الابن الشرعيّ لعصر مقوّماته وخبراته كلها تصب في فن الحياة المليئة بتكنولوجيا العصر[8]

.

1) انظر : قاسم، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، ص (44-47).

2) انظر، عزام ، الخيال العلمي في الأدب، ص(7).

3) انظر، تيري، نظرية الأدب ، ص (13).

4) بو رحلة، أدب الخيال العلمي بين العلمية و الادبية- دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي و الأدبي، ص(112).

5) السابق، ص (112)

6) السابق نفسه

7) جن، مسيرة أدب الخيال العلمي ، ص (46) .

8) يوسف ، أدب الخيال العلمي وصناعة الأحلام، ص (80) .

فكيف تحقق الخيال العلميّ في رواية " أعشقني*" ؟ وما هي المحاور التي تناولتها هذه الرواية ؟ وكيف خدم الخيال العلميّ بنية الرواية

بُنْيَة الخيال في رواية " أعشقني":

تبني الكاتبة أحداث روايتها في إطار خيالي متناغم تستبق فيه الزمن، وتتسع في البؤرة المكانية؛ لتوظّف بعض الظواهر العلمية بصورة خيالية تنسجم مع الأحداث الروائية؛ فالكاتبة انطلقت من حقائق الواقع الذي تعيشه وجعلت هذا الواقع بذورا لبناء عالم روائيّ تجري أحداثه في الألفية الثالثة؛ لتروي الأحداث في عالم الفضاء الخارجي، الذي يتسع لأحداث التطور العلمي الخياليّ، ومع أنّ بذور هذه الأحداث مستمدّة من أرض الواقع؛ إلا إنها تنامت وتطوّرت في مجرّة درب التبانة، فأصبحت بيئة مناسبة لأحداث الخيال العلمي؛ فالثيمة الرئيسة لهذه الرواية تتحدث عن تقدّم طبّيّ هائل، تجرى فيه عملية نادرة، وهي الأولى من نوعها في هذه المجرّة؛ حيث يتمّ نقل دماغ البطل " باسل المهري" الذي تعرّض لحادث إرهابيّ مميت إلى جسد البطلة" شمس" التي ماتت تحت سطوة تعذيبه في أحد سجون المجرّة؛ فتبدأ الكاتبة بعرض تفاصيل هذه العملية الخيالية التي يمتزج فيها المتناقضات؛ إذ إن دماغ القاتل لم ينسجم جينيا إلا في جسد المقتولة، فاحتلّ دماغ الذكر جسد الأنثى؛ ليبدأ رحلة التعرّف على هذا الجسد المختلف في ملامحه واحتياجاته، لينتهي به الأمر عاشقا لهذا الجسد وهذه الروح، ومن هنا جاءت العنونة تأطيراً لمفهوم عشق الآخر الذكوري للجسد الأنثوي، إنه العشق الذي يكشف عن الأسباب التي تتعلّق فيها الروح بالجسد .

و من هنا نجد البطل ينسحب تدريجيّا من العالم الماديّ الإلكترونيّ إلى العالم الإنسانيّ رافضاً للتقدّم العلميّ الذي يحوّله إلى آلة إلكترونية، لينتهي به الأمر عاشقا للجسد الذي سكنه؛ ولهذا نجده يطلق صوته بقوله :"أعشقني"؛ ليعلن بذلك أن العشق يغيّر قوانين المجرّة : " أنا لست ضدّ أبعاد الطول والعرض والارتفاع والزّمان، ولست معنيا بتفكيك نظرية اينشتاين التي يدركها ويفهمها جيدا أكثر الطلبة تواضعا في الذكاء والاجتهاد في أي مدرسة من مدارس هذا الكوكب الصغير، ولكني أعلم علم اليقين أن الحب وحده هو الكفيل بإحياء هذا الموات، وبعث الجمال في هذا الخراب الإلكترونيّ البشع، فالحب هو البعد الخامس الأهم في معالم تشكيل وجودنا. [1]"

ومما يحفّز البنية الخيالية في هذا النص التعدد الأجناسي؛ فنحن أمام نصٍّ يجتمع فيه السرد الروائي مع المذكرات والرسائل والسيرة الغيرية؛ وفي هذا الزخم النصّي المفعم بلغة شعرية أدبية، نجد المضامين الإنسانية والعلمية مؤطّرة بالصور الخيالية، فالبطلة "شمس" نموذج للمرأة القوية في الأدب النسوي، فهي المضحيّة والثائرة والصابرة والمنتظرة لحبيبها، والمبادرة للتغيير الإيجابي، والمحافظة على ملامح قوتها حين تمرّدت "شمس"على قانون حكومة المجرّة عندما منعوها من إطلاق شعرها الذي كانت تعتبره رمزاً لأنوثتها وجمالها، وقد كان لمواقفها السياسية نتيجة أثّرت على بنية الأحداث في الرواية، فقد سُجنَت وتعرّضت للتعذيب، أما الموت فقد جعلها حقلاً للتجارب، لتصبح بطبيعتها الجسدية محفزّا للبطل "باسل المهري" نحو التغيير الإيجابي، فقد كانت حركته مربوطة بجسدها؛ وقد كان هذا الجسد ضعيفا بفعل (الحمل) قويّا بفعل (الإرادة)؛ وبين هذه المتناقضات تروي لنا الكاتبة حكايات الحب في عالم الفضاء الخارجي، وتقدّم صورا نلمح شيئا من معالمها في الواقع؛ فإدراك الظواهر المجرّدة من الأفكار والانفعالات يظهرها الحسّ في صور محسوسة، نحتفظ بها وندركها ضمن الحيّز الذهنيّ، وهي التي تحوي الرصيد المعرفي الذي سبق للإنسان إدراكه[2]، فنجد الصور الحسية الانفعالية في العالم الخيالي مستقاة من المقارنة

*) سناء الشعلان كاتبة أردنية لديها العديد من الروايات ، وحاصلة على العديد من الجوائز، وقد تركت هذه الرواية صدى واسعا عند النقاد، ونالت عليها جائزة "دبي للثقافة و الإبداع" لعام، 2011/2010، .

1) انظر: الشعلان، سناء، رواية أعشقني، ص (69-70)

2) انظر: الداية، جماليات الأسلوب – الصورة الفنية في الأدب المعاصر ، ص (23- 26).

مع الواقع، ولعلّ الفضاء الخارجيّ يحفّز الذهن لبناء صور الخيال العلمي، فما هي الموضوعات التي تناولتها الكاتبة في روايتها ؟

"موضوعات الخيال العلمي في الرواية ":

وجدت الكاتبة أرضا خصبة لبناء عالمها الخيالي، فالألفيّة الثالثة تزخر بالمنجزات العلمية التي تحاكي الخيال؛ فالعالم أصبح قرية صغيرة، والبعيد أصبح قريبا بفعل الاتصالات عن بعد، فكيف ساهمت هذه المنجزات العلمية في بناء الخيال العلميّ في النصّ الروائي؟ قدّمت الراوية نصّها مقسّما إلى ثمانية أبعاد، وهذه الأبعاد جاءت مرقّمة ومعنونة، ولعلّ هذه الأبعاد مستوحاة من عالم الخيال الذي تروي أحداثه في مجرّة درب التبّانة، وقد جاءت العناوين المؤطّرة لهذه الأبعاد منسجمة مع عالم الخيال الفضائيّ فهي تتحدّث عن " الطول، والزمن، والإيقاع، والعرض "لا تتجاوز مساحة الكون عرض أحزاني"، ونظرية الطاقة، والمعادلة "معادلة نظرية طاقة البعد الخامس"، وانطلاق الطاقة، أما أهم هذه الأبعاد فهو الحب " وحده من تتغيّر به حقائق الأشياء وقوانين الطبيعة"[1]. فمن عناوين هذه الأبعاد تظهر الموضوعات الخيالية، ويمكننا أن نجملها بما يلي:

أ – موضوعات تتعلّق بالتقدّم الطّبي:

يبدو أن الكاتبة وظّفت التقدّم العلمي للحديث عن تغيير قوانين الطبيعة، حين سعت مخابرات المجرّة في تغيّر حقيقة الموت، فأصبح بإمكان البطل "باسل المهري" أن ينال فرصة أخرى في الحياة بعدما تعرّض لحادث مميت، وهذه الفرصة تتمثّل بإنجاز طبّي يتحقق بعملية طبّية نادرة وغريبة؛ إنها عملية تجريبية تُجرى على إنسان فقد جسده؛ لتهبه فرصة أخرى في الحياة هرباً من الموت و بحثاً عن الخلود، وبالرغم من هذه الفرصة الخيالية النادرة إلا أننا نجد البطل يرفض أن يكون حقلا للتجارب الطبية:" ليتني أملك الجرأة لأقول للأطبّاء : دعوني أموت، أنا أرفض أن أكون حقل تجارب، وأرفض أن أكون أول إنسان تُجرى له عملية نقل دماغ، ليتني أستطيع أن أرفض أن ينقل دماغي إلى جسد تلك المرأة المعانقة للموت والعدم[2]".

يبدو أن البطل مسلوب الإرادة أمام هذا التقدّم العلمي الخياليّ الذي وهبه فرصة أخرى للحياة رغما عنه؛ ففي عالم المجرّة يصبح الإنسان حقلاً للتجارب؛ وقد حرص الأطباء على تقديم سبب طبّي يبرّر انتقال دماغ البطل"باسل المهري إلى جسد البطلة الملقّبة بالنبيّة :"الأطباء أكّدوا له أن هذا الجسد الأنثوي المنسرح في أحضان الموت هو الجسد الوحيد الملائم جينيّاً وأنسجة وخلايا هذا الجسد توافقت مع جسده[3] ". ويبدو أن القدر هو الذي جمع بين دماغ البطل القائد العسكريّ و الضحية التي لاقت حتفها على يديه؛ فخالفته فكريا وناسبته جينيا؛ فوافق على الانتقال للجسد الأنثوي لغاية التمسّك بالحياة، ولكنّه يتطلّع مجدّدا لأن يخضع لعملية طبية أخرى تعيده إلى جسد ذكوري:" سيلقى جسده في مشرحة كلية الطب، ودماغه سيرتدي جسدها، وهي ستكونه، وهو سيكونها، وبذلك يكون رجلا في جسد امرأة، أو جسد امرأة بعقل رجل، أي سيكون الاثنان في جسد واحد إلى أن تنجح العملية، ثمّ يعيد الأطبّاء الكرّة، ويهبونه جسدا ذكورياً يسكنه حتى يأتيه الموت مرّة أخرى[4]".

ب ــ التقدّم العلميّ في طرق التكاثر والتناسل والولادة :

في عالم المجرّة يصل التقدم العلميّ لصورة خيالية تتمثّل بالحديث عن وسائل التواصل الجسدية الإلكترونية، و أدوات التناكح المخبرية التي لا تعرف التواصل الجسديّ المحض، وتكفل توفّير الأجنّة عبر بنوك الأجنّة المخلقة وفق قوائم محدّدة ومتنوّعة من الأسعار والمواصفات، ثمّ تضمن تنمية تلك الأجنة في حاضنات آليّة رسميّة ومراقبة حكوميّا إلى حين خروج الأطفال من شرانقهم الهلاميّة، بعد الحصول على أذونات الزوجية، وأذونات شراء الأجنّة، وأذونات إثبات النسب، وأذونات الحصول على

1) –انظر عناوين الأبعاد في رواية أعشقني ،ص13، ص 26، ص 40، ص83، ص124،ص170

2) الشعلان، أعشقني، ص (16) .

3) الشعلان ، أعشقني، ص(22) .

4) السابق ، (23).

مربّيات آلية، وتوزيع الأبناء منذ الصغر على مدارس تتناسب مع وظائفهم التي تنتظرهم وفق صفاتهم الجينية المخلّقين عليها بناء على رغبة الآباء و الأمهات وقدراتهم الشرائية [1]".يبدو أن غياب الجسد في عملية التناسل وصل إلى صورة خيالية تعكس صعوبة الحياة في المجرة؛ ذلك لأنه يغيّب الإنسانية ويحلّ مكانها العالم الآلي الطّبيّ؛ وبفضل الخيال العلمي نجد الكاتبة تأخذ بذور النتائج العلمية في الحقول الطبية، وتجعلها أكثر تنامياً في عالمها الروائي، فّإذا كان الحصول على الأجنة يتمّ بطرق طبية متعددة؛ فإننا لن نجد الطريقة التي وصفتها الكاتبة إلا في عالمها الروائيّ.

ومن غريب الخيال المعتمد على تقنيات التقدّم العلميّ أن نجد التواصل في المشاعر الإنسانية يتمّ عبر الأقراص الممغنطة، فها هو البطل يصف طرق المتعة الجنسية بين الرجل والمرأة على كوكب الأرض بالسخيفة والمقرفة، ويرى التواصل الإلكترونيّ بديلاً مناسباً لذلك:"كم كان الناس حمقى ومغفّلين بركونهم إلى هذه الطريقة السخيفة و المقرفة للمتعة والتواصل طوال آلاف السّنين! فاتَهُم أن يعرفوا معنى المتعة المضغوطة في أقراص انفعالية تستخدم وفق برنامج مقنّن للإشباع الجنسيّ تحدّده مؤسسات العمل لموظّفيها اعتماداً على لحظات أوجهم ومناسيب أمزجتهم وعطلهم الرّسميّة، وفاتهم أن يحصلوا على أبناء معدّلين وراثيّا وفق أدقّ طلبات الزوجين ورغباتهم، وفاتهم أن يذوقوا معنى التآلف الإلكترونيّ و الزّواج الآليّ الذي لا يكون إلا بعد طلبات خاصّة في نماذج رسميّة[2] ". يبدو أن الخيال العلمي وصل حدّ الغرائبية حين سخّر الإشباع الجنسيّ للأقراص الآلية، وتتنامى صورة الخيال العلميّ حين جعل الزواج آليّا والتآلف إلكترونيّا والحصول على الأبناء معدّلاً وراثياً.

ج ــ التقدّم في مجال الآلات الإلكترونيّة :

تسيطر الآلة على عالم المجرّة الفضائي؛ لتعطي صورة توحي بمدى التقدّم العلميّ الذي تحقق في هذه المجرّة؛ فالآلة أخذت مكان الإنسان البشريّ في مختلف الميادين؛ فالرجل الآلي يدرّس في ديناميكيّة متقنة؛:" وهكذا علّمنا معلّمونا الرّجال الآليون الذين حوّلوا العالم إلى دارة كهربائية لا تعرف التوقف عن العمل مادامت مغلقة [3]".

فالتدريس مهمة عظيمة ومستمرّة على أرض المجرّة بفضل الإتقان الذي يتميّز به الرجل الآليّ؛ وقد تتعدّى مهام الرجل الآلية حتّى تصل إلى أكثر الحقول العلمية التي تحتاج إلى الدقة والإتقان؛ إنه الطبيب الآلي:" وهنا في هذه المستشفى العسكريّ النووي حيث لا يدخله إلا كبار الموظفين والعسكريين والعلماء الذريّين والأثرياء. كان الطبيب الجامح ومساعده الطبيب الآليّ وكادر من الممرضين والممرّضات والمساندين والمساعدين الآليين والباحثين في هندسة الجينات البشرية وفيزياء الجسد وكادر من المساعدين الآليين في انتظاري باقتراحهم الإبليسيّ [4]". وإذا كان التقدّم العلمي وصل في عالم المجرّة إلى أن تُسند العمليات الدقيقة إلى أطبّاء آليين؛فإننا نجد الخيال العلمي وصل لمرحلة بثّ المشاعر في عالم الآلة؛ فقد وصفت الكاتبة البطل حين خرج من غرفة العمليات:" تداهمه أصوات آلية بجمل محدّدة وواضحة، تأمره واحدة من الممرّضات بحنان آليّ بعدم الحركة حفاظا على صحّته[5]" ،فكيف للآلة أن تحنّ على المريض؟ أم أن الحنان ينشأ في المجرّة مع الأجنّة التي تودع في الحاضنات الآلية وتشرف عليه فيما بعد حاضنات آلية[6]؟

يبدو أن الحنان الآليّ لم يُشعر البطل بالأمان؛ فها هو يشكو برودة مشاعر الآليين؛ يقول: "تدخّل الطبيب المساعد الآليّ بملامحه المعدنيّة الباردة، وقال له بنبرته الرّتيبة المتقطّعة الملفوظة بوتيرة واحدة تخلو من أي إحساس أو مشاعر أو انطباع شخّصي:

1) انظر : السابق نفسه، ص(34).
2) الشعلان ، أعشقني، ص(66-67).
3) الشعلان، "أعشقني" ،ص (27).
4) السابق، ص (16-17).
5) السابق ،ص(30).
6) انظر السابق ، ص (34-35) .

لن نفعل أيّاً من الأمور التي تقولها يا سيّد باسل المهري [1]" .فالمعدنّ الآلي لا يستطيع أن ينقل المشاعر الحقيقية؛ لذانجده يلتزمّ فقط بالتعليمات، ومن هنا جاء الوصف السلبيّ للآلية في عالم المجرّة.

د- التقدم في قانون الإنسان الإلكتروني:

وفي عالم المجرّة تتكاثف الجهود لتوحيد الشكل الخارجي لجميع سكّان المجرّة الإلكترونيين، من حيث الأوزان المسموح بها، وطول الشعر، وتقنين حدود الاختلاف؛ "فالإنسان الكونيّ المعاصر عامل منتظم وفق جدول إلكترونيّ مرسوم له منذ أن كان مجرّد جينات مختارة بدقّة[2]".ويبدو أن القضايا الجدلية على كوكب الأرض أصبحت حتميّة في عالم المجرّة، فالجنس الثالث في المجرّة موجود بكثرة وله حقوقه المدنية وله حقوقه الإنسانية والاعتبارية،" فهم يمثّلون تطوّر جندرياً معلّلاً ومقبولاً، ما دام لا يتعارض مع المصالح الكبرى لحكومة المجرّة، ولا يصطدم بآليات التكاثر والازدياد والاقتران الرّسميّة والقانونية [3]".

هـــ- التقدم في مجال الاتصالات:

وفي عالم المجرّة نجد حقل الاتصالات فاعلاً في العالم الفضائي؛ فالبطل أعطى موافقته على عمليّة مصيرية "عبر توقيعٍ إلكتروني مُعتَمدٍ له في منظومة الدولة العسكريّة والقضائية متبوعا بأرقامه السرّية الخاصّة[4]. بل إن الخيال العلمي تنامى حيث أصبح التواصل بين الأشخاص يتم عبر الأقمار الصناعية؛ فمندوب الحكومة طلب من البطل أن يملأ الأوراق الرسمية :"لتكون همزة وصل قانونية بين الحكومة والمجلس القضائي الكونيّ الأعلى، والتواصل يتم عبر القمر الصناعي الخاص بالمندوب ليتحقق الاتصال المرئيّ المباشر به، فلكلّ مندوب قمر صناعيّ[5]".

وفي عالم الاتصالات المتطوّر علميّاً نجد المعلومات يُحْصَلُ عليها عن طريق الحزم الضوئية المكتوبة، وهذه هي الطريقة المتّبعة في حصول مخابرات المجرّة على معلوماتها. أما طريقة الكتابة السائدة على أرض المجرّة فهي "النابض النووي"، و تتمثّل آلية عمله بتقنيّة خياليّة، تقوم على:"تثبيت شريط النابض النووي على مؤخرة الرأس حيث الدماغ، وتكفّ عن الكلام، وتخلص في استجماع الفكرة في ذاكرتها، فتتحوّل طاقة حركة المعلومة في النواقل العصبية في الدماغ إلى نبضات كهربائية، يحوّلها النابض بكل سهولة ويسر إلى حروف تسجّل على الحزم الضوئية خالية من إلى حروف تسجّل على الحزم الضوئية خالية من أي أخطاء إملائية أو لغوية أو أسلوبية، ومنظّمة في فقرات وصفحات قابلة لإعادة ضبط حجمها وعدد صفحاتها، والحذف منها وفق الحاجة والقدرة على البوح، والتصريح بصدق دون خوف أو محاذير[6]".فإن كان التقدم العلمي استطاع أن يصل إلى قراءة الأفكار فإننا في عالم المجرّة نجد هذه الأفكار تتحول إلى كلمات مكتوبة في الصفحات الإلكترونية.

الزمان في الرواية :

تبني الكاتبة أحداث روايتها في عالم خياليّ مفترض؛ ينقلنا عبر آلة الزمن إلى الألفية الثالثة حيث المستقبل " فالمستقبل هو زمن مفتوح تتحقق فيه التبصرات والنّبوءات التي ينشدها الكاتب، والنسق الزمني في أدب الخيال يكون صاعداً لا هابِطاً، صاعداً باتجاه المستقبل [7]"؛ وفي المستقبل نجد التقدّم العلمي وصل إلى الصورة الخيالية في المجرّة الفضائية؛ وهذا يشكّل محفّزا للمتلقي لإشراكه في هذا العالم الخيالي، وفيه تحلّ الآلة محل الإنسان،والاتصالات الإلكترونية تنامت حتى أصبح لكلّ

1) الشعلان، أعشقني، ص (42).
2) السابق ،(48) .
3) انظر: أالسابق ، ص (65- 66).
4) ا السابق، ص(20).
5) الشعلان، أعشقني، (43)
6) السابق،(72-73) .
7) فيصل ، أدب الأطفال وثقافتهم : قراءة نقدية دراسة تطبيقية ، ،ص (53) .

شخص قمر صناعيّ خاصّ به؛ وأصبحت المسافة بين مساكن المجرّة تقاس بالسنوات الضوئية [1]؛ ويظهر من البناء التفصيلي للرواية أن الكاتبة أقامت النص الروائي على نظام الفصول والأبعاد؛ وقد أفردت للزمن بعداً خاصّاً؛ وقد جعلته البعد الثاني في روايتها؛ وفي هذا البعد تتتّبع الراوية بوصف زمنيّ تفصيلي لعمليّة انتقال دماغ البطل إلى جسد البطلة؛ ويبدأ التفصيل الدقيق لزمن هذه العملية :" الساعة الآن هي الخامسة إلا ثلثا، لا هي الخامسة إلا ربعا، بالتحديد هي الخامسة إلا سبعة عشر دقيقة، يجب أن أكون دقيقا، فلا مجال للخطأ في عالمنا العصري القائم على الدقة والنظام، وعلى أعلى درجات التنسيق والحساب والضبط، ثانية واحدة خارج الحساب الصحيح كفيلة بإحداث حوادث وكوارث مدمّرة [2]"

يبدو أن الراوية أرادت أن تعطي الزمن قيمة إضافية في هذا النص القائم على الخيال العلميّ، وقد شكّل الزمن عنصرا أساسيّا في بنية النصّ الخيالي المستقبليّ؛ وأصبح للزمن دورٌ إضافيّ في عالم المجرّة؛ إذ يساهم في بناء الحدث وبانتظامه تتحقق الأهداف، ولعلّ هذا ما يفسّر لنا التّدرّج في الوصف الزّمنيّ الدقيق لعملية نقل دماغ البطل إلى جسد البطل:"الساعة الآن قد أصبحت الخامسة إلا تسع عشرة دقيقة، قرص الساعة الدائري الإلكترونيّ أول ما يصافح غباش عينيه ، الصورة تبهت وتوضح بين الفينة والأخرى، يا ترى هل الساعة الخامسة صباحاً أم مساء؟ العملية الساعة الخامسة! [3]".

يظهر أن للزمن أثره على البطل؛ لأنه ارتبط بمرحلة التغيّر من جنسٍ لآخر؛ وممّا يوسّع الدائرة الزمنية التداخل الأجناسيّ في النص الأدبي، فقد وظّفت الكاتبة في أحداث روايتها الحكايات القصيرة ، ومذكرات البطلة مع عشيقها ورسائلها إليه، مما جعل الزمن أكثر تشعّبا؛ فلكلّ حكاية زمنها الخاص وكذلك المذكرات والرسائل فهي تروي أحداثا لها إطار زمنيّ خاص؛ فالدوائر الزمنية في هذا النّص متعدّدة؛ الدائرة الأوسع للزمن الروائي هي الألفية الثالثة التي تدور فيها أحداث الرواية الرئيسية ، وداخل هذه الدائرة يوجد دوائر فرعية أخرى، للزمن الحكائي، مثل حكاية قبل النوم لورد الجميلة [4] فلكل حكاية زمنها الخاص.

وإذا كانت المسافة تقاس على أرض المجرّة بالسنوات الضوئية؛ فإن للزمن على هذه المجرّة حساباً خاصّاً ، فالأشهر في المجرّة لها حِسابٌ آخر، ولها خصوصية التسمية، فشهر المسرّات في الألفية الثالثة يحمل الأمل للبطلة، ونجد أيضا شهر الشمس والنور، وشهر الرعد، وشهر الكوكب العظيم وغيرها، فالأشهر ارتبطت تسميتها بعناصر الطبيعة لا بحساب الوقت الحقيقي الذي يقاس بالدقائق والساعات، ومن هذا ما كتبته البطلة في مذكراتها الأخيرة؛ تقول:" اليوم 14 شهر النّور عام 3010م [5]" فالحرص على التوثيق الزمني يرتبط بسياق النوع الأدبيّ، أما الآلية التي ختمت فيها الكاتبة نصّها الروائي فقد كانت إشارات حذف تدلّ على زمن مفتوح:" حبيبتي ورد ، يوم جديد يمرّ ولا أخبار عن خالد الباب يقرع الآن، سأرى من الطارق وسأعود إليكِ بعد لحظات ، انتظريني .أحبكِ؟.....

.....،.....[6]"

فالزمن المفتوح هو الزمن الذي يتخيّله المتلقي فيبني عليه تأويلاته، وهذا ما سعت إليه الكاتبة.

المكان في الرواية :

يساهم المكان في رواية الخيال العلمي في تأطير أحداث الخيال عبر صور فانتازية تنسجم مع طبيعة الأحداث، فالمكان في هذه الرواية يتسع في بعدين؛ الأول بعد فضائي؛ يجعل الأحداث تجري على مجرّة درب التّبانة، والبعد الثاني يعتمد على مجموعة من الصور التي تثيرها الذاكرة عند المقارنة بين مجرة درب التبانة وكوكب الأرض، فالمكان في الأدب كما يرى باشلار

1) الشعلان، أعشقني، ص(15).
2) السابق، ص(27).
3) السابق، ص(28).
4) الشعلان، أعشقني، ص(88).
5) السابق، ص(215).
6) السابق نفسه.

"مجموع من الصور الفنية التي تثير الذاكرة، وتعيد الماضي، أو هو مجموع قيم متخيّلة يختزنها العقل الباطن ثمّ تصبح هي القيم المسيطرة [1]".

ولعلّ المقارنة بين عالم الفضاء وكوكب الأرض يوضّح هذه الأبعاد المكانية، ومن ذلك حكاية النوم التي كتبتها شمس لابنتها ورد، تقول:"كانت الأرض في بداية التاريخ والخلق جميلة، ببحار زرقاء هادئة،وأشجار خضراء باسقة، وسماء عليلة، وحيوانات مسالمة، لكنّ البشر أفسدوا كل شيء بشرورهم وحروبهم أفسدت كل الأماكن[2]"

فالمكان متّسع باتساع الأحداث، فهو مكان عام على كوكب الأرض، وفي عالم الفضاء نجده أيضا يتسع باتساع الفضاء الذي ترسمه، تبدأ الأحداث في المستشفى العسكري النووي، وعلينا قراءة موجودات هذا المكان وأثرهاعلى رسم الشخصيات، وربما يزداد الأثر في استدعاء باقي الأمكنة، ومن ذلك تنقل الراوي بين المستشفى والزنزانة التي ماتت فيها البطلة، فللمكان سيموطيقيا "علم علامات" وعلينا أن نوظّفها في قراءة الأمكنة ، فهي تأخذنا إلى إدراك جديد، يتجاوز مادّيات المكان إلى علامات المكان، فهو ليس فضاءً فارغاً ، ولكنه مليء بالكائنات والأشياء ، والأشياء جزءٌ لا يتجزّأ من المكان وتضفي عليه أبعاداً خاصة من الدّلالات [3] ".

الخيال العلميّ في الرواية .... نظرة تحليلية بين الإيجابية والسلبية. :

نقلت الكاتبة في البناء الروائي رؤى وقيماً وتوجهات فكرية في قالب خياليّ، وهذا هو الأدب الذي تتنازعه الرؤى الفردية والاختلافات القيمية، والتوجهات الفكرية لكلّ منهج ومذهب، وهذه الاختلافات رغم تشعّبها تجتمع لتحدد جانبين أساسيين في تعريف الأدب: فمنها ما يقدّم مفاهيم وظيفية (مضمونية) متعددة، ومنها ما يقدّم مفاهيم بنيوية (لغوية) متعددة[4]، ومع أن الكاتبة في هذا النص سعت لتقديم أجناس أدبية متعددة داخل بناء نصّي واحد؛ إلا أن الجانب الفكري المضموني هو الذي نسعى إليه في هذه الدراسة، فقد استمدّت " الشعلان" أوصافها وصورها الخيالية من واقعها الذي تعيشه، وقد جعلت هذا الواقع بذورا لرسم صورها الخيالية؛" فالروائي بالضرورة منبثقٌ إلى حدّ كبير من تاريخ مجتمعه يشكّل مجتمعه ويتشكّل به [5]"، فكيف شكّلت سناء الشعلان من واقع مجتمعها نصّاً روائياً؟ يبدو أن الكاتبة أرادت أن تنقل هموم واقعها إلى مجرّة درب التبانة، هذا العالم الذي يستوعب التغيرات ويطورها بصورة خيالية لتصبح أكثر سهولة وراحة وتميّز؛ فهل كانت جميع هذه التغيرات إيجابية؟

يلحظ القارئ لهذه الرواية أن الكاتبة سعت للكشف عن الأبعاد الإيجابية للتقدّم العلميّ من حيث سهولة الحصول على ما يرغب به الإنسان،فلا مستحيل على أرض المجرّة ، حتّى الموت أصبح بالإمكان تأخيره ، فعلماء المجرّة يتطلّعون إلى إيجاد حلّ لمعضلة الموت:"ومن يعلم قد نكون قد استطعنا حتى ذلك الوقت أن نحلّ معضلة الموت، وننهيه من قاموس البشرية والوجود تماما، نحن أحرزنا تقدّما كبيرا في هذا الشأن، قبل أسبوعين فقط استطعنا أن نردّ الحياة لكائن تجارب لمدّة ساعة من الزمن بعد موته بساعتين، صدّقني يا سيد باسل سيأتي اليوم الذي يصبح فيه الموت مجرّد حدث منقرض لا وجود له، وعندها ستنتهي كلّ الآلام والأحزان، وسيعرف البشريون الآليون معنى الخلود الدائم، والحياة السرمدية التي لا تعرف النهاية [6]".

وبالرغم من أن مطلب الخلود موجود منذ الأزل إلا إنه سيبقى مطلباً فانتازياً ؛ فالآلام والأحزان لا تنتهي بالخلود، ودليل ذلك أن البطل عندما أعطي فرصة أخرى في الحياة بعد موت جسده، لم تتحقق له السعادة؛ ولعل الوصف الخياليّ السابق يكشف عن

1) انظر: باشلار، جماليات المكان ، ص (31) .
2) الشعلان، أعشقني، ص (88-89) .
3) قاسم، القارئ والنص "العلامة والدّلالة"، ص(48) .
4) انظر، تودروف، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ص(6-13).
5) ،سعيد، الثقافة الامبريالية ،ص(58).
6) الشعلان، أعشقني، (45).

البعد السلبيّ للتقدّم العلميّ، فالبطل أصبح حقلاً لتجارب العلماء الآليين، فظهر مسلوب الإرادة ولم يهتمّوا برغبته وإرادته؛ فتعاملوا معه بطريقة آلية؛ لذلك نجد البطل يعلن رفضه لهذه العملية:" أنا أرفض أن أكون حقل تجارب، وأرفض أن أكون أول إنسان تجرى له عملية نقل دماغ، ليتني أستطيع أن أرفض بعزم وإصرار أن ينقل دماغي إلى جسد تلك المرأة المعانقة للموت[1]".

ويبدو أن الخيال العلميّ لم يغيّب بعض الظواهر السلبية التي امتدّت من كوكب الأرض لتصل إلى عالم الفضاء الخارجيّ، فالإرهاب المرتبط بالثوار كان سبباً في تهتّك جسد البطل:" دماغي غادر مكرها جسدي المهترئ حدّ التآكل، والمحترق حدّ التفحم جرّاء أشعّة ذلك الفخ الإرهابي الذي نصبه لي ثوّار المجرّة في دوريّتي الصباحية الاعتيادي في صباح هذا اليوم في مدار القمر [2]". فالتقدّم العلميّ طوّر الظواهر السلبية وجعلها أكثر ضرراً، فقد استفاد الثوار من الأشعة الإلكترونية لتدمير سكان المجرة؛ وجعلوا التأثير يصل إلى المدار القمريّ. ورغم الأبحاث التي تسعى لحلّ معضلة الموت؛ إلا أن الجثث ما زالت كثيرة ومكوّمة على أرض المجرّة؛ حصيلة حادث مروري على الخط الضوئي السريع بين الأرض والقمر، ومواجهات دامية مع الثوّار في الشّمال، وانفجار في معمل كيميائيّ نوويّ [3].

وكأن الخيال طوّع في وجهٍ من الوجوه للكشف عن عيوب التقدّم العلميّ؛ ومن ذلك حديثه عن غياب التواصل الروحي و الإنساني بين سكان المجرّة، لاسيّما بين المرأة وزوجها، فزوجة البطل لم ترافقه في المستشفى رغم إصابته البالغة، فقد كانت غائبة في مناوباتها الليلية الكثيرة في عملها في المعهد الاستراتيجي، وها هو البطل يستذكر طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة على كوكب الأرض القائمة على التواصل الجسدي بواسطة العضو الذكريّ؛ ولكنّ التقدّم الحضاري عمل على انقراض هذا التواصل[4]، واكتشف فيما بعد أن هناك تواصل روحيّ وعشقٌ بين البطلة شمس وحبيبها خالد ، وتعمّق هذا التواصل باللقاء الجسدي الذي نتج عنه الحمل وهو حالة من التطوّر الطبيعي للإنسان على كوكب الأرض، ولكن في عالم المجرّة الآلي غاب هذا التطور ليحلّ مكانه التناكح المخبري؛ فينتج عنه أجنة مخلّقة بطرق آليّة، فالإنسان الكوني المعاصر عامل منتظم وفق جدول إلكترونيّ مرسوم منذ أن كانوا مجرّد جينات مختارة بدقة وفق منظومة كروموسومات في بويضة مخصّبة؛ ولعلّ هذا ما يفسّر غياب المشاعر بين الأب وأبنائه الذين لم يرهم طيلة فترة مرضه ، بل إن البطل كان يفضّل مركبته الفضائية المقاتلة وكان يراها أكثر قرباً إلى نفسه من زوجته وأبنائه[5] الذين نذرهم للدراسات الأكاديميّة الإلكترونيّة المعقّدة في الجناح العسكريّ للحربيّة للحربيّة الوطنية منذ أن وصلوا إلى سنّ الخامسة[6]، فإذا كانت دقة الوصف تكشف عن سهولة الحياة في عالم الفضاء الخارجيّ، فإنّها من جانب آخر تكشف سلبيات هذا العالم الآلي، فصديق "باسل" الآليّ هو الوحيد الذي ساعده في محنته للحصول على المعلومات عن "شمس"، فقد بحث دون توقّف حتى كاد شحنه أن ينفذ في الشارع العمومي الضوئيّ السريع في المكتبات الإلكترونية [7]. فالصديق الآلي تتوقّف خدماته بنفاذ شحنه دون تحذير أو تنبيه.

ورغم التقدم الالكترونيّ إلا أن المخابرات ما زالت متحكّمة بالأحداث السياسية للمجرّة، وقامعة للأ حزاب والحركات الثورية، فالبطلة " شمس" لاقت حتفها تحت سطوة تعذيب المخابرات لأنها كانت زعيمة وطنية مرموقة في حزب الحياة الممنوع [8]،

1) السابق، ص (16) .
2) السابق نفسه
3) الشعلان، أعشقني، ص (22).
4) السابق، ص(34).
5)السابق،ص(15).
6) انظر ، الشعلان، أعشقني، ص ص (15) (20).
7) السابق، ص (66) .
8) انظر السابق، ص (14-15).

فحريّة التعبير تغيب أيضا في عالم المجرة، ومما يبدو أن الكاتبة استمدت صوراً سلبية من واقعها الذي تعيشه على كوكب الأرض، والمخابرات هي المسؤولة عن حرب البطل الطويلة مع المعارضين والمنشقين عبر المجرّة، وهي المسؤولة عن اختيار جسد ملائم للبطل، ومتابعة الأبعاد الإعلامية المتعلقة بعملية نقل دماغ البطل "باسل" إلى جسد "شمس". فهي تلغي الذات مقابل السيطرة والتحكم لخدمة مصالحها .

وإذا كان الخطأ على كوكب الأرض يمكن تصويبه، فإن مجرة درب التبانة لا مجال فيها للخطأ يقول البطل :" فلا مجال للخطأ في عالمنا العصريّ القائم على الدّقّة والنّظام وعلى أعلى درجات التنسيق والحساب والضبط، فخطأ واحد في الحساب كفيل بتفجير مركبتي الفضائية، أو بإخراجها عن مدارها المغناطيسي واللاسلكيّ لتضيع إلى الأبد في الفضاء الخارجيّ دون منقذ [1].

يبدو أن الكاتبة طوّعت الخيال العلميّ؛ لإظهار تقنيات التقدّم العلميّ الإلكتروني؛ فرسمت أبعاداً وصوراً إيجابية تظهر سهولة الحياة على أرض مجرّة درب التّبانة، ولكنها لم تقف عند هذه الإيجابيات، وإنما كشفت عن الجانب الآخر لهذه التقنيات، وهو الجانب السلبي الذي يبوح برغبة البطل بالعودة إلى عالم الأرض البسيط الذي يربطه بالخالق؛ هذه القوة الخفيّة التي لم يدرك كنهها إلا بعد العملية الطبية التي جعلته يتعرّف على جسد وفكر البطلة "شمس"؛ لينتهي به المطاف موحّدا للخالق، بعد أن كان وجوديا لا يؤمن بإله، فأصبح يعلن جهرا التوحيد، يقول : لا إله إلا الله، وهو ربّي وأنا عبده، وإليه المآل، الآن أدرك سرّ الضياع الذي تعيشه الإنسانية المعاصرة وارثة كل إلحاد هذا الانفجار العلميّ والحضارة المعلوماتية بكلّ ما فيها من كفر وعناد،[2]". أدرك البطل أن التقدم العلمي لا بدّ أن يكون موجّها لغاية تحقيق رسالة التوحيد والإيمان وحب الآخرين وخدمتهم، فالحب هو البعد الخامس الذي تحدّثت عنه شمس في علاقتها مع خالد، فالحب له طاقة لا بدّ من تفجيرها واستثمارها في إعادة تشكيل ملامح حياة البشرية، واسترداد سعادتها المسلوبة في عصر الآلة والسلطة الغاشمة وتشييء الإنسان، وجعله رقما عاملا بعبودية موصولة مقنّعة لخدمة أسياد يستأثرون بالسلطة، ويحرمون الإنسان بسيف القوانين والنظام والمصلحة العامّة والضرورات الكونية من أبسط أشكال تواصله الإنساني وامتداده الطبيعيّ، وسعادته الرّوحية والمعرفية والنفسية والعقلية والجسدية [3].

الخاتمة:

وهكذا يتضح لنا أن أدب الخيال يترجم المكتشفات والمخترعات والتطوّرات التكنولوجية التي على وشك الحضور أو التي لم تظهر بعد إلى قضايا إنسانية ومغامرات درامية وإيقاعات فلسفية، تتحقق في مجرّة درب التبانة في زمن خياليّ مفترض يسوّغ وجود هذه المنجزات العلمية؛ وبعد الدراسة التحليلية لرواية " أعشقني" نستطيع أن نجمل نتائج هذه الدراسة بما يلي:

- توجهت الكاتبة لعرض منجزات الخيال العلمي عبر الانتقال بواسطة آلة الزمن إلى المستقبل؛ فالألفية الثالثة استوعبت الاختراعات الإلكترونية، واتسعت لتوظيف حقول الاتصالات الفضائية وحققّت التطلّعات في المجالات الطبية والإنسانية والسياسية والعسكرية؛ فكان المستقبل دائرة تستوعب جميع منجزات الخيال العلمي.

1) انظر: الشعلان، أعشقني، ص (27).
2) ا السابق، ص (126).
3) السابق ، ص (163).

- استطاعت الكاتبة في نصّها الروائيّ أن تكشف عن إيجابيات التقدم العلميّ، ولم تقف عند هذا البعد وإنما كشفت عن الجانب الآخر للمنجزات الخيالية، وأظهرت سلبيات النظام الآليّ الذي يخلو من المشاعر، وعالم الاتصالات الذي تجاوز حدود الذّاتية ووصل إلى العموم عبر الأقمار الصناعية.
- يبدو أن الكاتبة استطاعت أن تبثّ الرسائل الفكرية والسياسيّة والعقدية عبر بناء خياليّ متناغم مع سياق الأحداث التي تجري في بعدين ؛ الأول مباشر يصل من خلال قراءة الأحدث والتفاعل معها ، أما البعد الثاني فيعتمد على تأويل الأحداث وقراءة ما وراء السطور، وما بين هذين البعدين يتحقق التفاعل مع أدب الخيال العلميّ، ولعلّ من الأمثلة الواضحة على ذلك ربط الخيال العلمي بالقَدر الذي يوصل في نهاية المطاف إلى الإيمان بوجود خالق لهذا الكون.
- تمكنت الكاتبة قي هذه الرواية أن تعطي الحب قيمة إضافية حين أفردت له بعداً خاصا؛ وجعلت هذا الحب يتفوّق على جميع الأبعاد؛ وترجمته من خلال علاقة" شمس " بـــخالد" عبر رسائل العشق ومذكّرات الغرا م، وانتقل هذه العلاقة فيما بعد إلى علاقة رجل بأنثى يعيشان في جسد واحد، ومن هنا نجد البطل يعشق الجسد الذي سكنه رغما عنه، إنه جسد شمس التي تعيش في قلبه وعقله، هذا الجسد الذي أرسل له العشق ؛ عشق الذات لصاحبها، ومن هنا نجده يقول " أعشقني" .

المصادر والمراجع

ــ القران الكريم.
– أمين، أحمد ، النقد الأدبي،دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1967م.
إيغلتون تيري، نظرية لأدب ، تر: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، (د.ط)، 1995.
– باشلار ، غاستون، جماليات المكان ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط3، 1407.
– بو رحلة، جميلة ، أدب الخيال العلمي بين العلمية و الأدبية– دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي و الأدبي، ر.ج. ماجستير، الجزائر ، جامعة فرحات عباس، 2010.
– التليلي، عبد الرّحمن ،" الخيال و الإبداع"،ضمن كتاب عبد السلام ميس، الخيال ودوره في تقدّم المعرفة العلمية.
– تودروف، تزفيتان، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، تر: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط1، 200.
– انظر: الداية، فايز، جماليات الأسلوب – الصورة الفنية في الأدب المعاصر ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، ط2، 2003.
– سعيد ،ادوارد، الثقافة الامبريالية ،تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، 1997.
– سكولز، روبرت وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، تر:: حسن حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،(د.ط)، 1996
– الشعلان، سناء، رواية أعشقني، الورّاق للنشر والتوزيع، ط1، 2012.
– عزام ،محمد ، الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط(1)، 1994
– عصفور، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، ط3، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
ـــ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ ، الخيال ، الأسلوب، الحداثة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط(1)، 2005.
– عيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية الخرافة و التفكير العلمي مع دراسة حقلية مقارنة على الشخصية العربية، (د.ت) ، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1983.
– فيصل ، سمر روحي، أدب الأطفال وثقافتهم : قراءة نقدية دراسة تطبيقية، د.ط.، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1998.
– قاسم ، سيزا، القارئ والنص "العلامة والدّلالة" ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2002.
– قاسم ، محمد ، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر ، 2003.
– مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات و أحياء التراث، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر، 1406هـــ، 2005.
– ابن منظور :(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب ،دار صادر للطباعة و النشر ،بيروت ، لبنان ، ط1، (د. ت) .
– نداء، طه ، الأدب المقارن، (د .ط)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1975م.
– يوسف ، شوقي بدر ، أدب الخيال العلمي وصناعة الأحلام، مجلة عمان ، مجلة ثقافية شهرية ، ع118، صادر عن أمانة عمان الكبرى ، نيسان،2005.